البعد السوسيولوجي في رواية غثيان الغائب لـ "مصطفى ولد يوسف"

الأستاذة: صليحة لطرش جامعة البويرة

الملخص

إن كثيرا من المناهج النقدية التي تروم معنى النص الروائي، وحقيقته الضائعة بين مفرداته وعباراته لم تستطع الوصول إلى هذه الحقيقة فكان نتاج ذلك تعدد المناهج والنظريات النقدية ، التي تسعى إلى الوصول لهذا المعنى ، ومن بين هذه المناهج من أرادت عزله عن سياقه الاجتماعي ، ورغم كل هذه المحاولات لم يستطع فعل ذلك،والمجتمع الذي تشكل فيه فقد أثبت الواقع أن النص الروائي الجزائري لا يمكن عزله عن بيئته ومجتمعه ، لذالك لا بد من إعادة هذا النص إلى سياقه النقدي الاجتماعي ،ودراسته من خلاله ولكن من دون شطط ويكون ذلك بالتركيز على بنيته اللغوية بقدر الاهتمام بسياقه الاجتماعي الخارجي.

الكلمات والمفاتيح : المناهج النقدية، النص، سياقه الاجتماعي، النص الروائي، البنية اللغوية ،النقد الروائي الاجتماعي الجزائري.

Résumé

Beaucoup de méthodes critiques qui traitent le sens du texte narratif (ou roman) et sa réalité et sa réalité sont perdu entre son lexique et ses expressions,c'est pourquoi il existe autant de méthodes et de théories critiques qui ont pour objectif de saisir cette signification du texte. Il y a même des méthodes qui ont tenté d'appréhender le texte(roman) en dehors de son contexte social. Malgré toutes ces tentatives cela n'a pu être concluant,car la réalité a prouvé que le texte(roman)algérien ne peut être lu et compris sans prendre en compte son environnement et sa communauté sociale . Ainsi il est indispensable de remettre ce texte à son contexte social ,il faut donc lors de l'étude critique de ce dernier se concentrer sur sa construction littéraire et ainsi qu'a son contexte social extérieur.

Summary

Many critical methods which treat the direction of the narrative text (or novel) and its reality are lost between its lexicon and its expressions, this is why there exists as many methods and critical theories which aim to seize this significance of the text. There are even methods which tried to apprehend the text (Romance) apart from its social context. Despite everything these attempts that could not be conclusive, because reality prove that the Algerian text (Romance) can be read and understood without taking into account its environment and its social community. This Why it is essential to give this text its social context, it is thus necessary at the time of the critical study to concentrate on its construction and ils external social context.

تمهيد

الأدب هو أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل العواطف من أفكار، وخواطر، وهواجس بأرقى الأساليب الكتابية سواء كانت شعرا أم نثرا لتفتح للإنسان أبواب القدرة للتعبير عما لا يمكن الإفصاح عنه وفي معناها العام يشمل كل ما كتب عن التجارب الإنسانية والإبداعات المختلفة. لذلك فمنذ أن شق "دوركايم" الطريق العلمي أمام دراسة المجتمع، انفتحت أمام الدارس مجالات متنوعة، وأفاق واسعة للبحث في الوقائع الاجتماعية المتنوعة، في طبيعتها وأسلوبها، ولم يعد علم الاجتماع علما نظريا مجردا، يتناول الظواهر والوقائع الاجتماعية في الطلق، بل نزل إلى ساحة الحياة، وراح يعالج هذه الظواهر في حيزها المكاني والزماني، وفي ارتباطها ببعضها البعض، لأن المجتمع كائن حي، تكثر فيه المؤثرات وتعدد التفاعلات،" »[1]. فعلم الاجتماع يتقدم بتقدم الحياة تتطور مجالاتها المختلفة، **يقول روبيرت إسكاريت: «علم الاجتماع يتطور بتطور الحياة ويتفرع بتفرع اتجاهاتها فيتجه إلى معالجة ظواهر إنسانية تكتسب صفتها "الاجتماعية" من جراء اتسامها بصفة الظاهرة العامة»**[2].

فلطالما كان الإنسان وسيظل المحور،" الذي يدور حوله اهتمام الإنسان، فتتأكد مرة جديدة صحة اتجاه الفلسفة اليونانية، بالتركيز على القول: إن الإنسان **"عالم صغير"**، وفي الواقع كلما تقدم العلم، رأينا إن دراسة الإنسان هي خلاصة لدراسة الكون." »[3].

فشيوع القول بأن "الأديب ابن بيئته، يتأثر بها كما يؤثر فيها، ليس فقط بين الباحثين الأدبيين وطلاب الأدب، بل حتى بين العامة، يدل إلى أي مدى يتصف هذا القول بميزة الشمول، بحيث يبلغ إلى مرتبة الحقيقة البديهية، التي لا جدال في صحتها، فلا عجب والحالة هذه أن نرى بعض الباحثين، يولون هذه الظاهرة الإنسانية، في صميمها اهتماما يتعدى نطاق الكلام العابر، ليصل إلى ميدان الكلام العلمي المسؤول، ويجعل من الأدب في ركائزه الثلاث –الأدب، النتاج الأدبي القارئ-، موضوعا لفرع من

---

[1]- روبير إسكاريت، سوسيولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط3، 1999، ص05.

[2]- روبير إسكاريت، سوسيولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي،، ص05.

[3]- روبير إسكاريت، سوسيولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي،، ص05.

علم الاجتماع متميز نوعيا عن غيره، هو «علم اجتماع الأدب، أو سوسيولوجيا الأدب».»[4].ومنذ أوائل القرن التاسع عشر بدأت بوادر اهتمام من قبل المفكرين، بالناحية الاجتماعية التي يفترضها الأثر الأدبي "أثار إسكاريت في هذا المجال إلى مدام سوتال «**الأدب في علاقته بالمؤسسات الاجتماعية**»، كونه أول محاولة لدراسة منهجية لمفهومي الأدب والمجتمع"[5].

"من هنا كانت المحاولة مجرد بارقة طليعية لسوسيولوجيا الأدب، كما غابت عنها عناصر أساسية لهذا العلم المستحدث، إذ بقيت الناحية الاقتصادية وقضية القراء، على هامش البحث، ناهيك بمسائل أخرى لقضية انتماء الكتاب الاجتماعي، ووسعهم الثقافي، وحقوق المؤلف والجمعيات الأدبية الخ...، ولا حاجة إلى التركيز على أية سوسيولوجيا لا يمكن أن يتم لها استخلاص نتائج، وتأكيد مبادئ وقوانين سوسيولوجية، إن لم تنطلق من وقائع معينة وتستند إلى إحصاءات دقيقة، خصوصا بنظر إنسان العصر"»[6].، إلا أن هذا لا يعني أن سوسيولوجيا الأدب عبارة عن أرقام، وإحصاءات فحسب،" بل تتناول الطبعة الاجتماعية التي ينشأ فيها المؤلفون، بل أن ميولهم الفكرية وعدد النسخ التي تطبع منها الكتاب، وطريقة تمويل طبع الكتاب، أو الربح الذي يحققه لمؤلف ونشاره، بل أنها تتناول ويجب أن تتناول إلى جانب هذه الأمور، المقومات النفسية للأدب،أي التي ترتبك ارتباطا جذريا بمقوماته العرقية، والظروف الزمانية والمكانية للبيئة، التي نشأ فيها وترعرع، والبيئة العائلية، والوسط الاجتماعي.»[7].

فعلى تعدد الدراسات التي تناولت هذه المسألة أو تلك، من المسائل المرتبطة بالأدب من زاوية اجتماعية، يمكن القول أن سوسيولوجيا الأدب ما زالت ترتكز على أفكار رئيسية، وخطوط عريضة لم تلتئم في جسم متكامل الكيان، موحد المنهج، محددة أهدافه ومعين موضوعه لذلك: "وفي طليعة من تحدث عن «**سوسيولوجيا الأدب**» "شوكينغ"، غير أنه في مؤلفه الذي صدر سنة1931 يطرح أفكار للتداول وأراء ضلت في نطاق المسائل الصورية،... أما المراجع الأخرى فتمتد حتى 1963م، وتجد أن بعض

---

[4]- روبير إسكاريت، سوسيولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي، ص06.

[5]- روبير إسكاريت، سوسيولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي، ص07.

[6]- روبير إسكاريت، سوسيولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي، ص08

[7]- ينظر:روبير إسكاريت، سوسيولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي، ص08

المؤلفين استعلموا كلمة سوسيولوجيا، وأشاروا إلى المناهج التي يجب أن تعتمد في سوسيولوجيا الأدب.

"في حين نجد لوكاتش" قد وضع سوسيولوجيا الأدب و"بيشوا" كتب مقال بعنوان "نمو سوسيولوجيا تاريخية للوقائع الأدبية" 1961. في مجلة "التاريخ الأدبي الفرنسي".

وهو الموقف نفسه نجده عند إسكاريت حين وضع دراسة بعنوان "مناهج السوسيولوجيا الأدبية"، قدمها في المؤتمر الثاني للجمعية الدولية المقارن 1986[8]،... فكانت هذه الدراسات الوضعية تركز على الظروف الخاصة والعامة التي عاشها الأديب، وهذه الظروف تساهم في تكوين شخصية الأديب، وتؤثر على إنتاجها الأدبي.

أولا: مفهوم المنهج السوسيولوجي (الاجتماعي)

«كلمة منهج في الترجمة العربية للكلمة الانجليزية "Methode"، والكلمة الفرنسية "Méthode" وكلتاهما مأخوذة من الأصل اليوناني "Methode"، الذي يتألف من مقطعين هما: "Métha" بمعنى بعد، و"hodos" بمعنى طريق، والذي يدل من الناحية الاشتقاقية على معنى "التزام الطريق" أو السير تبعا لطريق محدد»[9].

أما المنهج السوسيولوجي (الاجتماعي) هو: من المناهج الحديثة، التي أخذت تجذب إليها اهتمام الباحثين، في الأدب العربي، فمع ظهور علم الاجتماع وتقدم دراسته، وتعدد اتجاهاته ومدى تأثيرها على أفرادها، ومدى استجابتهم لهذا التأثير، أو تمردهم عليه وما يكون بينهم وبين مجتمعاتهم، من توافق اجتماعي وفقدان لهذا التوافق، وما تنطوي عليه الحياة البدائية[10].

ويرى بعض النقاد المعاصرين وفي طليعتهم يوسف خليف: "أن نشأة المنهج الاجتماعي ارتبطت بظهور الفلسفات الواقعية في العصور الحديثة، ودعوتها إلى اتجاه الفن نحو الواقع، والواقع الاجتماعي بنوع خاص، ومن الأوائل المفكرين الغربيين الذين تبنوا هذا الاتجاه **"سيمون" "1760-1825م"**، وجماعته الذين دعوا لتنظيم المجتمع،

---

[8]- روبير إسكاريت، سوسيولوجية الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي، ص10.

[9]- يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، 2004، ص11.

[10]- ينظر:يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، ص36.

والقضاء على الأسرة والفردية وتفاني الفرد في خدمة مجتمعه، والتضحية بكل غال ونفيس في سبيل أبناء مجتمعه، وتحقيقا لهذه الأهداف النبيلة"[11].

و من هذا المنطلق يمكن اعتبار المنهج الاجتماعي، أيضا كامتداد طبيعي للمنهج التاريخي ولكن في إطار يتسم بالتنظيم والتنظير، الذي يسند لمفاهيم محددة في علم الاجتماع، بل قد يحمل في طياته أبعادا سياسية وإيديولوجية، فالمنهج الاجتماعي يعبر عن هموم المجتمع، وبالتالي فهو المرآة العالمية في مختلف جوانب الحياة[12].

إذن فقد ساهم أصحاب هذا المذهب، بالرغم مما يوجهه إليهم من انتقادات بوضع أسس جديدة للنقد الاجتماعي، مفادها أن كل قارئ ينتمي للمجتمع، وإلى حياة اجتماعية، فهما اللذان يحددان قراءته، ويفسحان مجالات التأويل للنصوص الأدبية أمامه، كما يجعلانه حرا مبدعا[13].

ثانيا: سوسيولوجية الرواية

إن سوسيولوجية (مجتمع) الرواية: هو "السوسيو رواية"، بمعنى هو المجتمع الذي يصنع فيه النص (الروائي)، وتعتبر سوسيولوجية الرواية محط اهتمام السوسيو نقد والسوسيو رواية، فهي التي تسمح بقراءة: "المجتمع في النص (الروائي)"، وبذلك يمكن تعريف لفظة: «السوسيو (الرواية) في اشتقاقها كاجتماعية (الرواية)، وفي الحقيقة هذا يعني المجتمع عندما تصنعه (الرواية)، بدون أن يكون أكثر مما تسميه الكلمات أو تصفه في (الرواية)»[14].

أي أن مجتمع الرواية هو المجتمع الذي تصوره الرواية، من خلال الكلمات أو بتعبير آخر هو المجتمع الذي يصنع الرواية، وحسب "دوشي" فـ: «إن حقيقة الرواية أو المهمة التي تسعى لتحقيقها، هي إعادة خلق الواقع وتجسيد أوهامه، على منوال "لم يقل بعد" أو "لا... بعد"»[15]، وهذا يعني أن الرواية عند "دوشي" مجال خصب، يمكن أن

---

[11]- يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي ص36.

[12]- ينظر، بوعلي كحال، محاضرات في المدارس النقدية المعاصرة، مخطوط، 2010-2011، ص05.

[13]- عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، ص87.

[14] -Henery Hervais Sima Eyi, lecture sociocritique du Roman gabonais, pour l'obtention du garde du philosophie Docteur (ph, D), Université Laval Que Bec, Canada, 1997, p49.

[15]- غلودمان لوسيان،مدخل إلى قضايا علم اجتماع الرواية تر، محمد معتصم مراجعة، محمد البكري عيون المقالات العدد6-7 المغرب 1987ص65.

تمثل المجتمع بطريقة جيدة، في الأعمال الأدبية ويمكن اكتشاف الطريقة التي يصنع بها المجتمع الأعمال الأدبية وحضور هذا المجتمع في الرواية لا يعني أنه: «مجتمع حقيقي حيث كلمات النص توضح، أنه مجتمع لا يحتوي إلا على "دلالة... دلالة محتملة، بدون دلالة، دلالة خالصة"، وحضور المجتمع في الرواية عند دوشي مستقبلة لكل الكتابات، التي تخضع لسيطرة الاحتمالية»[16]، لأن هذا الحضور ليس حضورا ثابتا لا يتغير، بل هو حضور خاضع للاحتمالية.

مجتمع الرواية يشارك الخطاب الاجتماعي، وهي مناسبة حسب دوشي «امتداد المجال، فكل خطاب يخص مجتمع بذاته، وأيضا مجتمع الرواية»[17]، وأما "انجينو" فيعتبر الخطاب الاجتماعي: «كل ما قيل وكتب في حالة المجتمع، كل الذي طبع، كل الذي تحدث به علنا أو المقدم اليوم في الإعلام الإلكتروني، كل الذي يحكي ويثبت، إذا افترضنا أن الحكي والإثبات هم رمزا لوضع الخطاب»[18]، فمجتمع الرواية في هذه الحالة كل ما يتعلق بالمجتمع، وبالخطاب الاجتماعي ومضمونه وسياقاته، غير أن "دوشي" ركز في دراسته لمجتمع الرواية على الخطاب النصي.

فمجتمع الرواية هو مزيج بين النص والمجتمع، والمجتمع هو الذي يقوم بعملية تشكيل النص، وينشر فعله فيه، وبصورة عامة «الخطاب الاجتماعي يكشف الأفاق الإيديولوجية، (النصية – الخارجية، Extra textuel)، إنه فعل داخل للخطاب الاجتماعي»[19]، فالإيديولوجية تسجل في مضمون الأعمال، وتحليل الخطاب الاجتماعي لا يبحث في النص (الروائي) عن الإيديولوجية فقط، بل يبحث أيضا عن النصية والجمالية الموجودة في الخطاب، هذا الأخير الذي: «وجد قبل الرواية، وبالنسبة إليه يشكل بارز واضح»[20]، فالخطاب الاجتماعي سابق عن الرواية، وأثره واضحة جلية في الأعمال الروائية، وبالنسبة لـ "روجين روبين" الخطاب الاجتماعي «هو عبارة عن ضجة

---

[16]- غلودمان لوسيان، ، مدخل إلى قضايا علم اجتماع الرواية تر، محمد معتصم مراجعة، محمد البكري ص49.

[17]- غلودمان لوسيان، ، مدخل إلى قضايا علم اجتماع الرواية تر، محمد معتصم مراجعة، محمد البكري ص49.

[18] -Henery Hervais, lecture sociocritique du Roman gabonais, p61.

[19]-. Henery Hervais, lecture sociocritique du Roman gabonais, p61

[20]- غلودمان لوسيان، مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، تر: بدر الدين عرودكي، ص125.

إجمالية، غير متماسكة، ذات تصدعات موصولة ومتراصة، وهو صوت الجماعة "نحن no"، وهو رواج الآراء الشائعة، وهو موجود مسبقا، وما سبق قوله، وما يؤدي وظيفته بوضوح على شكل افتراضات أو مسلمات قبلية، أو كل ما تبلور وكل جماد، وهو العادات السيئة، وما لم يقل واللاتفكير، وهو الجمع المشتت وضوضاء العالم، الذي سيصبح مادة نصبة (روائية)»[21]، وما يمكننا قوله عن سوسيولوجيا الرواية، أنها تسعى لتحقيق فعل القراءة بطريقة أساسية وعميقة فالنص لا يكون تاما ويستطيع تحقيق كيانه إلا بعد قراءته، والقراءة التي نتحدث عنها في هذا المجال ليس القراءة السطحية، والسريعة الخاطفة من دون تدقيق لا تمعن، بل ما تسعى إليه سوسيولوجية الرواية، الوصول إلى قراءة عميقة ودقيقة، تأخذ وقتها في ملاحظة كل لفظة، وكل كلمة أو جملة أي القراءة التي تتمكن فك رموز النص، وتستطيع استنباط الذي قيل فيه، والذي لم يقل بين سطور الكلمات، والصمت الموجود في النص، أي تحقيق الجسر الذي يربط عالم الرواية الداخلي، بكينونته الخارجية إيديولوجيته.

ثالثا: علاقة الرواية بالمجتمع

إن الأدب بأشكاله المختلفة، ولنا أن نتوسع فنقول: "جميع أشكال الفكر البشري" يحيل إلى مرجعية أولى، هي الصراع بين ما لم يوجد، وما يجب أن يوجد.«والرواية من حيث هي ضرب من ضروب الإبداع الفكري، ولكونها أكثر الأشكال الأدبية قابلية لتجسيد الواقع بكل ما فيه»[22]، كانت خير شاهد على ما يحمله الخيال الإنساني من إمكانات، «فهي عمل درامي...، يضحي في النهاية معادلا فنيا للواقع وعملا تخليا قادرا على الانتقاد والاختيار، وإبرازا لكل ما هو جوهري في الحياة، بغية تكميل ما نقص منها، ومن ثم تغدوا تصويرا للمكن والمحتمل، أي أنها لا تتوجه إلى ما هو كائن فقط، بل لما ينبغي أن يكون»[23]، بحيث أضحت الرواية مرآة عاكسة للمجتمع، تعكس أحوال أفراده وظروفهم، مصورة محاسنهم ومساوئهم، مجسدة لكماليات البعض

[21] -Henery Hervais, lecture sociocritique du Roman gabonais, p61.

[22]- لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية بين الإيديولوجية وجماليات الرواية، منشورات أمانة، عمان، 2004، ص40.

[23]- ينظر:عبد الفتاح عثمان: الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع (دراسة تحليلية فنية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص11.

واحتياجات البعض الآخر كل هذا في قالب درامي خاص، تستسيغه الأنفس الحالمة، والأبصار الزائغة، والقلوب الوجلة، لتجد فيها الملاذ الآمن، والسكينة المطلقة، ولو في بضع صفحات،فهي على تقدير "ولسون" أداة لمعرفة الذات أو لخلقها كما يقول: «إن الرواية هي في الأساس نوع من مرآة الحلم، التي يحاول فيها الروائي أن يعكس نفسه الجوهرية... فلا تستطيع أن تخلق إلا نفسك»[24].

فالرواية وقفة للبحث عن الماهية، عندما يجلس اليوم كاتب شاب أمام حزمة الأوراق وقلمه بيده، فإن السؤال الذي يواجهه ليس ببساطة ماذا أكتب؟ بل من أنا؟ ماذا أبغي أن أكون؟[25].

فالكاتب ينبغي عليه أن يملك فكرة حول ما يريده، إضافة إلى ما لا يريده، وهذا النزوع البشري الفطري للارتباط بما سيكون، والرغبة في تحقيقه، هو الذي يدفع الروائيين كافة للتعبير عن أحلامهم، في الأعمال الإبداعية، فالروائي العربي عاش حالة الانكسار نتيجة للواقع الرديء، الذي ألقى بكل هزائمه وإحباطاته دون أن يمنح أحدا بصيصا من الأمل، فأخذ الراوي يسعى إلى تجاوز هذه الحال، مراهنا بقوة على المستقبل ومحاولا تفعيل قيم الرفض والفعل، ودفعها إلى الأمام، يقول محسن الموسوي: «إذا أريد للرواية العربية أن تفخر بشيء، تفخر بطردها الوجودي لمأساة الإنسان العربي...، الذي تسهم العائلة والحكومات وقوى الاغتصاب والاحتلال جميعا، في سحقه والبطش به، لكن كل هذا العذاب المأساوي يحمل في داخله بذور الوعي والانبعاث والتجدد»[26].

ولما كان للإنسان وجود اجتماعي متطور، والحياة الإنسانية لا يمكن أن تتحقق إلا في وسط جمعي، فإن الأعمال الأدبية من شعر ونثر لابد أن تكون متأثرة بعناصر مستمدة من المجتمع، بمعنى أن ذكاء الأديب أو الشاعر وخياله وتصوراته ومدركاته الحسية والعقلية، لا يمكن أن تكون فردية خالصة، بل لابد أن تكون في بعض أصولها مستمدة من مصادر اجتماعية، والأمثلة كثيرة لا تعد ولا تحصى من أفات ومشاكل اجتماعية مثل القيادة في المجتمع والزعامة، وموجات الانتحار والقمع النفسي... والهزات الثورية المؤثرة في نفسية الجماهير، كل هذه الظواهر وما إليها التي قد تبدوا في أول الأمر

---

[24]- ولسون كولسن، فن الرواية تر: محمد درويش، دار المأمون للترجمة والنشر، 1986، ص27.

[25]- ولسون كولسن، فن الرواية تر: محمد درويش، ص21.

[26]- محمد الموسوي، الرواية العربية النشأة والتحول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988، ص144.

ظواهر فردية، متأثرة بمنطق الأفراد، إنما ترجع حقيقة أمرها في أصولها، إلى دوافع وأسباب اجتماعية، يجسدها الكاتب أو الروائي في أعماله النثرية.

وما يمكننا أن نقوله عن علاقة الرواية بالمجتمع، أنها علاقة "تأثر وتأثير" تتأثر الرواية بأحوال المجتمع، فتؤثر فيه بإعادة صياغة أحواله، وفق أسلوب منمق، ما يمنح المجتمع وجهة نظر جديدة، ومن بين الأمثلة الكثيرة نجد أن الرواية الجزائرية تعكس الواقع بمختلف صوره ومعطياته، وتعدد أشكاله فالشكل الواقعي للرواية يستمد من الواقع الاجتماعي، قبل أن يكون واقعا روائيا، يقول: **"ميشال زرافا، Michael Zerafa"**: «إن الشكل الذي تجسده الرواية، موجود في الواقع قبل وجوده في الرواية، لكن الكتابة هي التي تشكله»[27]، وهناك من يرى أن دلالة العمل الأدبي لا توجد إلا في هذا العمل، ولا تدل على شيء أخر غير ذلك، ولا ترتبط بالواقع مطلقا، وليس لها علاقة به ونجد ذلك عند **"تودوروف، Todorov"**.

إذ يقول: «بتحليلنا للمظهر الأدبي للنص، لا نكف عن مساءلة دلالة عناصر الحكاية، ولكن هذه الدلالة لا توجد إلا على الكتابة وليست في المرجع»[28].

ويؤكد هذه النظرة "رولان بارث" بحيث ينتفي أي علاقة بين النص الأدبي – الرواية- والواقع وبذلك لا يمكن أن تكون هناك دلالة واقعية للعمل الأدبي، وذلك ما يتضح في قوله "رولان بارث": «يبدو اليوم أكثر فائدة التركيز على مسألة كل عمل أدبي على انفراد، واعتباره عالما وحيدا معزولا، أي كشيء لا يجد علاقة بين الموضوع والتاريخ، واعتبار العمل الأدبي مكتملا غير قابل للتصنيف»[29].

ما نستخلصه من هذه الآراء المتضاربة، حول مرجعية العمل الأدبي عموما أو الفن الروائي على وجه الخصوص، أن هناك من يربط هذا الفن –الرواية- بالواقع الاجتماعي المعاش، حيث يعتبر مادتها الخام التي تنهل منه لتشكيل نصوصها الأدبية، وإعادة صياغة هذه الوقائع الاجتماعية وفق أسلوب ممنهج، ومنمق تستسيغه الأنفس القارئة كما أشار إليه "ميشال زرافا Michael Zerafa" سابقا.

---

[27] -Mechael Zarafa, Roman et Société, presses universitaires de France 2éme édition, 1972, p69.

[28] -TZevétan Todorov, littérature signification, Larousse, paris, 1976, p69.

[29] -Roland Bartles, Essais critique, édition du seuil, paris, 1964, p165.

وهناك من نقد هذا القول، وقام بنفي العلاقة الموجودة بين النص الروائي والمجتمع، مثلما جاء به كل من "تودوروف، Todorov"، و"رولان بارث، Roland Barth"، أين اعتبروا أن قيمة كل عمل أدبي بمختلف جنسه تكمن في عزلته ووحدته، عما يحيط به، ما يفتح المجال للخلق والإبداع، وإطلاق العنان لجنوح الخيال.

- **تجليات البعد السوسيولوجي في الرواية:**

-**النفاق** حسب ابن منظور هو: "والنفاق بالكسل، فعل المنافق، والنفاق: الدخول في الإسلام من وجهه والخروج عنه من آخر، مشتق من نافقاء اليربوع الإسلامية، وقد نافق منافقة ونفاقا...، وهو الذي يستكفره ويظهره إيمانه..."[30].

استطاعت هذه الظاهرة –النفاق- أن تخدم بعد الرواية، باعتبارها من أهم القضايا الاجتماعية المفتشية في المجتمعات، التي عزت كيانها وزعزعت أسسها، فقدمت للمصالح الشخصية على حساب المصالح العامة، ولذلك نجد أن الروائي قد ركز على هذه الظاهرة الاجتماعية في روايته، من خلال تصويرها في شخصية "عجاج" المنافقة، والتي تمثل نفاق المجتمع، عندما حاول سرقة أراضي السكان بالحيلة والنفاق يقول الروائي على لسان الشخصية: "أنصتوا إلى أنينها... أنين الأرض الخافت، إنها أسيرة الإهمال وترغب في تغيير أديمها الذي شوي في العقم، وتحلم اليوم الذي تعانق فيه المحراث، ليعود مجدها الذي خطفه البحر منها... أصغوا إلى تأوهها مثلي وتسرق أفئدتكم..."[31].

فانساق البعض وراء خطبته العسلية، وصدقوا كلامه العذب ليتحقق بهذا مخططه الثرير، في الاستيلاء على أراضي الناس بالمكل والخداع، "ليكتمل بذلك دائرة هيمنته..."[32].

أشار الروائي إلى تغاطي الناس عن هذه الظاهرة، بل وحتى المشاركة في حفل تأبين الضمير، والمشي في جنازة موت الحقيقة، فكانوا كمن قتل القتيل ومشى في جنازته.

---

[30]- ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس (الميم-الياء)، تحت مادة "نفق"، دار المعارف 119، كورنيش النيل، القاهرة، ج م ع، طبعة جديدة، ص09 و45.

[31]-مصطفى ولد يوسف غثيان الغائب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2012. ص68.

[32]- مصطفى ولد يوسف غثيان الغائب، ص68.

- **الجريمة:**

يعرفها ابن منظور بـ: "والجرم: التعدي، والجرم: الذنب، والجمع: أجرام وجروم وهو الجريمة، وقد جرم يجرم جرما واجترم وأجرام، فهو مجرم وجريم..."[33].

وتعتبر الجريمة ظاهرة اجتماعية قديمة قدم الإنسان ذاته، فمنذ أن خلق الله سبحانه وتعالى البشرية، ونحن نرى الجريمة شائعة بين الأفراد على اختلاف ديانتهم، وألوانهم، وأعمارهم، وحضارتهم، وصفاتهم، وقصة قابيل وهابيل أصدق مثال على ذلك، وفي هذا يقول الحق تعالى: "وأتل عليهم بتأ ابني آدم بالحق، إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، قال لأقتلنك، قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله العالمين، إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين..."[34].

وفي هذا يقول الله عز وجل: "...زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المرسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المئاب..."[35].

وفي غياب الضمير الأخلاقي، كانت الجريمة مغطاة برداء الخوف، الذي نسخه حمق وغباء البشر بأيد دامية، دمت من وخز إبر ضمائرهم القلقة، يقول الروائي: "...تخبو العاصفة فجأة، ويعود الجميع إلى ديارهم القلقة، ويبقى المغفور هناك يصارع الموت في الغيبوبة التي صنعها إنسان..."، إن الكوابيس المروعة تلاحقني في منامي، فمرة حملت بالمغفور يحث الناس على قطع رأسي ورمية في اليم، ثم طلب جسدي وفي يده أداة الجريمة التي استعملها في..."[36].

وفي صحوة الضمير تتجلى الحقائق، وتتكشف لتعرية المجتمع من أقنعته الزائفة، فيبزغ الحق شمسا مشرقة ويغيب الباطل سرمدا.

---

[33]- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، "الهمزة-الجيم"، تحت مادة "جرم"، ص4980.

[34]- سورة المائدة، الآيات27-28-29.

[35]- شفيق محمد محمد، الجريمة والمجتمع، محاضرات في الاجتماع الجنائي والدفاع الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، محطة الرمل الإسكندرية، رقم الإيداع 7975، 87، ص11.

[36]- سورة آل عمران، الآية14.

- **الأسطورة:**

الأسطورة في اللغة هي: "... الأساطير: ج أسطورة: الأساطيل، والأساطيل أحاديث الإنظام لها، ... يمطل: إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل، يقال: هو يستطل ما لا أصل له، أي يؤلف..."[37].

والسبب في تناسي هذه الأساطير يعود إلى التراجع الحضاري، والثقافي للمجتمع، وبقائه مغلقا بالغيبيات، والشعوذات، والسحر، والخرافات، التي تتغلغل عميقا في فكر المجتمع وتسيطر عليه، فحينما يسود الفكر الأسطوري قويا، وفاعلا لدى مجتمع من المجتمعات، فإن ذلك يعني وجود سلطة بتعدد أوجهها، تمنح شرائحها من العيش بأمان، وطمأنينة، وسلام روحي، كما يصورها الروائي في شخصية عجاج الظالمة، التي لم يسلم من شره أحد، يقول الروائي: "... فهو كالطوفان الشرس كلما شم مكيدة تحاك ضده، والويل ثم الويل لمن يعترض سبيل أهوائه أو يعيق تطلعاته الجارفة، فقد تعود على أخذ ما يريد بالقوة والمناورة..."[38].

هذه الشخصية التي لطالما سطرت على عقول الناس الضعفاء، التي نحرت صرخاتهم بشفرة الخوف والاضطهاد، فما كان منهم إلا الانصياع، والإذعان، والقبول حتما بما يقوله عمدتهم، وفي ذلك "... حكاية اختفاء (والد عبد الحي) وتفاصيلها العجيبة، التي لا تغدوا أن تكون سوى من تأليف عجاج...، فبعض الصيادين الذين كانوا مع أبيه، أصروا على أن عروس البحر خطفت المغفور انتقاما منه، لأنه قتل ابنها..."[39].

---

[37]- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، الشين-العين، تحت مادة "سطر"، ص2007.

[38]- مصطفى ولد يوسف :غثيان الغائب، ص08.

[39]-مصطفى ولد يوسف :غثيان الغائب، ص15.

الخاتمة:

إن الرواية هي الفن الأدبي الأجدر لتمثيل المجتمع، فقد استطاعت هذه الأخيرة تجسيد الصراعات الاجتماعية، والأزمات التي يعيشها من خلال اللغة، ومن خلال دراسات "بييلزيما" التطبيقية، استطاع استنباط الأزمات اللغوية، وعلاقتها بالأزمات الاجتماعية، فاللغة تتأثر بالوضع الاجتماعي،في رُقيه أو انحطاطه، وتستطيع الرواية أن تمثل هذه الخاصية.

فالرواية العربية عموما، والرواية الجزائرية على وجه الخصوص، لا يمكنها أن تنفصل عن مجتمعها وبيئتها، والروائي يطمح دائما لتحقيق رؤية وإبراز المشاكل الاجتماعية، والقضايا الاجتماعية، من خلال كتاباته، وذلك من خلال لغته، لذلك كانت الغاية لدراسة الرواية الجزائرية من الناحية النقدية الاجتماعية ومعرفة مدى تمكنها من استيعاب المجتمع بكل قضاياه، وصراعاته الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، وقد مثَّلت الرواية الجزائرية هذه الصراعات أحسن تمثيل، خاصة الروايات التي تناولت قضية التفاوت الطبقي وظاهرة النفاق.

لنرى أن الرواية الجزائرية ارتبطت بمرجعياتها المختلفة، الاجتماعية والثقافية، وقد استطاعت أن تبرز هذه المرجعيات، من خلال بنائها الروائي واللغوي فالروائي الجزائري المعاصر مصطفى ولد يوسف استطاع توظيف اللغة، والثقافة الخاصة بهذا المجتمع، من أجل تحقيق إيديولوجيته وإبراز هوية هذا المجتمع.مُصوَرا مجتمعه بمختلف الطرق، والمستويات، وتمكن من استغزار الحياة الإنسانية، والولوج إلى أعماقها، وتمثيل الصراع الداخلي والتمزق الذي يعاني منه المجتمع.

إذن فقد تنبّه هذا الروائي للعلاقة الوطيدة التي تربط الأدب بالمجتمع، لذلك وظَف كل عناصر الرواية المختلفة، من أجل ذلك، فقد استطاع أن يوظف المكان لخدمة موضوعه، وإبراز القضايا الاجتماعية، والأزمات التي يعاني منها المجتمع.

وفي ختام هذا البحث، لا يسعنا إلى التأكيد على أن الرواية هي الفن الأكثر استيعابا للمجتمع ولصراعاته، كما أنها الفن الذي استخدم كل مقوماته النقدية لتجسيد إيديولوجيته.

مصادر ومراجع المقال:

القرآن الكريم .

المصادر:

مصطفى ولد يوسف : غثيان الغائب،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،2012.

المراجع:

1- يوسف خليف، مناهج البحث الإداري، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، 2004.

2- عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2008.

3- بوعلي كحال، محاضرات في المدارس النقدية المعاصرة، مخطوط، 2010-2011.

4- لينة عوض، تجربة الطاهر وطار الروائية بين الإيديولوجية وجماليات الرواية، منشورات أمانة، عمان، 2004.

5- عبد الفتاح عثمان، الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع (دراسة تحليلية فنية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.

6- محمد الموسوي، الرواية العربية النشأة والتحول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988.

7- شفيق محمد محمد، الجريمة والمجتمع، محاضرات في الاجتماع الجنائي والدفاع الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، محطة الرمل الإسكندرية، رقم الإيداع 7975، 87.

الكتب المترجمة:

1- ولسون كولسن، فن الرواية تر: محمد درويش، دار المأمون للترجمة والنشر، 1986

2- غلودمان لوسيان،مدخل إلى قضايا علم اجتماع الرواية تر، محمد معتصم مراجعة، محمد البكري عيون المقالات العدد6-7 المغرب 1987.

3- غلودمان لوسيان، مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، تر: بدر الدين عرودكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، 1993.

4- روبير إسكاربيت، سوسيولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط3، 1999.

المعاجم:

1- ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس (الميم-الياء)، تحت مادة "نفق"، دار المعارف 119، كورنيش النيل، القاهرة.

المراجع الأجنبية:

1-Mechael Zarafa, Roman et Société, presses universitaires de France 2éme édition, 1972.

2-TZevétan Todorov, littérature signification, Larousse, paris, 1976.

3- Roland Bartles, Essais critique, édition du seuil, paris, 1964.

4-Henery Hervais Sima Eyi, lecture sociocritique du Roman gabonais, pour l'obtention du garde du philosophie Docteur (ph, D), Université Laval Que Bec, Canada, 1997.